"Binary oppositions of space (closed, open/ familiar, hostile/ real and imaginary) in the novels (Jirmati, Al-Masalla) by Nabil Suleiman."

Dr. Yacoub Al-Bitar*
Dr. Zekwan Al-Abdou**
Razane Blidi ***

(Received 1 / 7 / 2024. Accepted 15 / 8 / 2024)

□ ABSTRACT □

The place has its importance in literary studies represented in multi-directional angles, which made Ghaleb Halasa say: "When a literary work lacks spatiality, it loses its specificity, and thus its authenticity." The place is considered one of the basic components of the novel, so in this research I tried to study the place in my novel "Al-Masla, Jarmati", and I presented the dualities of place, and I also pointed out the connotations of place, and I ended this research with a conclusion and a list of sources and references, and I summarized in the conclusion the conclusions included in the research.

Keywords: The Place, closed, open, familiar, hostile, real, imaginary

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **Professor - Faculty of Arts and Humanities - Tishreen University - Latakia - Syria.**
****Assistant Professor - Faculty of Arts and Humanities - Tishreen University - Latakia - Syria.**
*****Postgraduate Student - Faculty of Arts and Humanities - Tishreen University - Latakia - Syria.**
razan.blidi@tishreen.edu

ثنائيّات المكان (المغلق ، المفتوح / الأليف ، المعادي / الواقعي والمتخيّل) في روايَتي (جرماتي ، المسلّة) لنبيل سليمان

د. **يعقوب البيطار**[*]
د. **زكوان العبدو**[**]
رزان بليدي[***]

(تاريخ الإيداع 1 / 7 / 2024. قبل للنشر في 15 / 8 / 2024)

□ ملخّص □

للمكان أهميّته في الدّراسات الأدبيّة متمثّلة في زوايا متعدّدة الاتّجاهات ، جعلت غالب هلسا يقول : " إنّ العمل الأدبيّ حين يفتقد المكانيّة فهو يفقد خصوصيّته ، وبالتّالي أصالته " [1].

ويُعدّ المكان من المكوّنات الأساسيّة في الرّواية ، لذا حاولت في هذا البحث دراسة المكان في روايتي " المسلّة ، جرماتي " ، وقمت بعرض ثنائيّات المكان ، كما أشرتُ إلى دلالات المكان ، وأنهيت هذا البحث بخاتمة وثبت للمصادر والمراجع، ولقد لخّصت في الخاتمة الاستنتاجات التي تضمّنها البحث .

الكلمات المفتاحيّة : المكان ، المغلق ، المفتوح ، الأليف ، المعادي ، الواقعي ، المتخيّل.

حقوق النشر :مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

[*]**أستاذ – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين- اللاذقية- سورية.**
[**]**أستاذ مساعد – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين- اللاذقية- سورية.**
[***]**طالبة ماجستير- كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين- اللاذقية- سورية.**

[1] **باشلار ، جاستون : جماليّات المكان ، ترجمة : غالب هلسا ، دار الجاحظ للنشر ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، د .ط ، 1980 م ، مقدّمة المترجم ، ص 6 .**

مقدمة

يُعدّ المكان من المكوّنات الأساسيّة في السّرد الرّوائيّ ، لما له " من أهمّية كبرى في تأطير المادّة الحكائيّة و تنظيم الأحداث و الحوافز " [2]، و هو لا يوجد منعزلاً عن باقي المكوّنات الحكائيّة الأخرى ، و إنّما يدخل معها في علاقاتٍ متعدّدة ، " و عدم النّظر إليه ضمن هذه العلاقات و الصّلات التي يقيمها ، يجعل من العسير فهمُ الدّور النّصّيّ الذي ينهض به داخل السّرد " [3]. وتحتاج الرّواية إلى أمكنة متعدّدة تواكب تطوّر الأحداث و حركة الشّخصيّات[4].

أهميّة البحث وأهدافه:

على الرّغم ممّا كشفت عنه الدّراسات السّابقة من جوانب مهمّة في بناء روايات نبيل سليمان وتقنيّاتها، فإنّها تناولت دراسة المكان الرّوائيّ من غير تتبّع لتحديد أبعاده في عناصر الرّواية الأخرى.

ومن هنا، فإنّ أهميّة هذا البحث تكمن في عنايته بدراسة المكان الرّوائيّ، وتأثيره في حركية السّرد، وفي طبيعة الشّخصيّات، وتناولها روايتي (جرماتي والمسلّة) اللتين تعبّران عن مرحلة تاريخيّة واحدة تعدّ مفصلاً تاريخيّاً، ومحطّة مهمة في حياة كثير من الناس، ما أكسبهما خصوصية، وأكسب مكانهما هذه الأهمية لتكون مادة الدّراسة في خدمة تحقيق هدف تقصي دلالات المكان الرّوائيّ في الروايتين، وفاعليته في تقديم الرؤية السّرديّة .

مسوغات اختيار البحث :

يعدُّ المكان الرّوائيّ عنصراً مهمّاً لتجسيد رؤية الكاتب، والتّعبير عن إحساسه بواقعه وهو ركيزة أساسية في العمل الأدبي، فالمكان الرّوائيّ لم يعد ديكوراً، أو خشبة، إنّما مشهد نابض بالحياة، للتّعبير عن ديناميكية الحياة وتفاعلها، وتأثيرها في بناء الشّخصيّات .

ولقد عنينا بدراسة فنّ الكاتب الرّوائيّ من خلال تعلّق عناصر هذا الفنّ بصورة عامّة بعنصر المكان في العمل الرّوائيّ، واخترنا هذا الموضوع؛ لأنَّ المكان يؤدّي دوراً مهمّاً، وأساسيّاً في تشكيل بنية العمل الأدبي والرّواية خاصةً.

المنهج المتبع:

يتّخذ البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على دراسة الظّاهرة ووصفها وصفاً دقيقاً ثمّ تحليلها وصولاً إلى النّتيجة وتعميمها ضمن الحدود المناسبة لذلك .

مقدّمة :

يعدّ المكان عنصراً أساسيّاً في بناء الرّواية، وإن اختلفت طريقة تشكيله وعرضه من روائيّ لآخر، ومن منهج لآخر أيضاً، وعلى الرّاوي أن يوليه الدّقّة نفسها الّتي يستخدمها عند تشكيله لعنصري الزّمن والشّخصيّة في الرّواية.

لابدّ من الإشارة إلى ضرورة تعدّدية المكان في الرّواية لأنّه" **لا وجود لرواية تجري جميع حوادثها في مكان واحد منفرد، وإذا ما بدا أن الرّواية تجري في مكان واحد خلقنا أوهاماً تنقلنا إلى أماكن أخرى** "[5] .

---

[2] **بحراوي ، حسن : بنية الشّكل الرّوائيّ ، (الفضاء، الزّمن ، الشّخصيّة)، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 1990م. ص20 .**

[3] **المرجع السّابق ، ص 26.**

[4] **ينظر : الفيصل ، سمر روحي : بناء الرّواية العربيّة السّوريّة ، اتّحاد الكتّاب العرب ، دمشق، 2003. ص 253.**

[5] **بوتور، ميشال : بحوث في الرّواية الجديدة، تر : فريد انطونيوس ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط1 ، 1971م ، ص 68.**

ويعلّل هذا لحمداني بأنّ" **تغيير الأحداث وتطوّرها يفترض تعدديّة الأمكنة، واتّساعها، أوتقلّصها حسب طبيعة موضوع الرّواية، فالرّواية مهما قلّص الكاتب مكانها تفتح الطّريق دائما لخلق أمكنة أخرى ولو كان ذلك في المجال الفكري لأبطالها** " [6] .

– المكان : (المغلق ، المفتوح)

الأمكنة المفتوحة والمغلقة : ويقوم هذا التّقسيم على أساس المفتوح والمغلق، وذلك طبعاً بالنسبة إلى الشّخصية لأنّه من الممكن أن يكون المكان المنفتح لشخصية ما، هو نفسه مكان منغلق بالنسبة إلى شخصية أخرى، والمقياس هنا هو مدى تأثيرها وتأثّرها، ومدى حريتها وتقييدها فيه.

نقصد بالأماكن المفتوحة:" **الأماكن التي تكون مفتوحة من جانب واحد فأكثر، شرط أن تكون مفتوحة من الأعلى .**" [7]

إنّ الأماكن المفتوحة سواء أكانت قرى أم مدناً، حدائق عامّة أم شوارع تعطي للإنسان شعوراً بارتياح النّفس، و انشراح الصّدر عند تجواله فيها، كذلك الحال في الرّواية، فالرّوائيّ تراوده تلك المشاعر عينها حينما يكتب عن الأماكن المفتوحة، ويكون قد بلغ مرماه من الوصف إذا استطاع توليد ذلك الإحساس لدى القارئ .

و لا بدّ لدارس المكان الرّوائيّ من اللجوء إلى تقسيمه إلى عدد من المكوّنات، و هذا التّقسيم ليس إلّا ضرورة منهجيّة يقتضيها الدّرس، و معروف أنّ تداخلَ هذه المكوّنات فيما بينها لا يسمح، في كثير من الأحيان، بمثل هذا التّقسيم، إلّا نظريّاً، فالغرفة الموصوفة جزءٌ من البيت، والبيت جزءٌ من الحيّ، و الأخير جزءٌ من المدينة . و لهذا فإنّ الأمكنة الجزئيّة الموصوفة يجب النّظر إليها في إطار المكان الكلّي في الرّواية [8].

– المدينة :

تتنوّع الأمكنة في الرّواية بحسب طبيعة الأحداث الّتي ستحتويها، و بحسب اختبارات الرّوائيّين لها، فقد تضمّ الرّواية مدناً ببيوتها و حدائقها و شوارعها و ... و ساكنيها، و قد تضمّ قرية أو قرى متعدّدة، و قد يختار الرّوائيّ الجبل مكاناً لأحداثه، و قد يختار الصّحراء، و يمكن لرواية واحدة أن تضمّ كلّ هذه الأمكنة المذكورة . كما يمكن للمكان أن يكون ضيّقاً أو رحباً، و قد يكون ملوّثاً أو نظيفاً . و في كلّ اختيار مأرب، و ذلك لوعي الرّوائيّ بأنّ المكان يؤثّر في الناس و يصوغ مفاهيمهم و تقاليدهم و قيمهم، و يحدّد مسارات الكثيرين منهم، كما يحدّد النهر مسار الماء الذي يجري فيه . و من الرّوائيّين من يجعل من المكان حيّزاً رمزيّاً [9]. ومن هذا المنطلق يعدّ المكان الرّوائيّ مركز الحكي الذي يستقطب جماع اهتمام المبدع " **وذلك لأنّ تعيين المكان في الرّواية هو البؤرة الضّرورية التي تدعم الحكي و تنهض به في كلّ عملٍ تخييليّ.** " [10]

---

[6] **لحمداني، حميد : بنية النّصّ السّردي من منظور النقد الأدبي، بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط 3 ، 2000م .ص 63.**

[7] **الحربي، رحيم علي جمعة : المكان ودلالته في الرّواية العراقية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2003 م، ص 135.**

[8] **ينظر : حطيني ، يوسف : مكوّنات السّرد في الرّواية الفلسطينيّة، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق،1999م، ص83.**

[9] **ينظر : الفريجات، عادل : النّقد التّطبيقي للقصّة القصيرة في سورية، مجموعات وكتّاب، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق 2002م، ص 12.**

[10] **بحراوي ، حسن : بنية الشّكل الرّوائيّ ، ص 29.**

ويعمد بعض الرّوائيين إلى تقديم المكان " **كعنصر مشارك بفعاليّة في السّرد ويتعاملون معه تماماً كما يتعاملون مع الشّخصيّات.**"[11]

في بداية كل رواية يحاول الأديب إعطاء فكرة عن الإطار المكاني الذي تدور فيه الأحداث، وقد تتباين طرق معالجة نبيل سليمان لهذا التّحديد، فمرة يحدّد الإطار الجغرافي بصورة مباشرة، وأخرى يلجأ إلى الأسلوب الفنّي من خلال الحوار بين الشّخصيّات، أو عن طريق تداعيات الأفكار لإحدى الشّخصيّات وهو في هذه الحالة " **لا يتموقع هنا من أجل الرّغبة بالوصف أو التّخلص من الفجوات النّصّية، وإنّما عاملاً نصياً وتمهيداً لوقوع الحدث الرّوائيّ** " [12].

أمّا المدينة عند الكاتب نبيل سليمان في روايتيه فتظهر من خلال حديثه عن المدن الثّلاث، وهي : دمشق، بيروت، وفلسطين تلك المدن الّتي ظهرت من خلال تحرّك الشّخصيّات فيها كونها مسرح للصّراع السّياسي، فقد ظهرت دمشق في بداية الحرب تنعي إلينا بحلول شبح الحرب في تلك المدينة الآمنة " مواقف التّاكسي الّتي تحتشد في الصّباحات الخالية. الرّيح الخفيفة تعبث ببقايا الدّكاكين المكوّمة فوق الأرصفة، تذروها في وجوهنا . وقبالة الجيب انتصب باب الحديد متحدياً، متلفعاً بظلام خفيف تتناوشه أضواء الشّارع الوانية الكئيبة، ولم يكن في منتصف السّاحة مسلّة . "[13]

وما دمتم تفهمونني فدعوا لي جسدي . دعوا لي المعركة دعوا لي الرشيدية السكسكية عدلون أطراف صور . آه يا شهور جرش الحلوة الرّاعفة، اتركوها لي . آه أيّها الرّفيق السّائق، لماذا نعبر كلّ المدن والقرى سوى فلسطين ؟ "[14]

فالمدينة خاوية من النّاس على الرّغم من أنّها مكان لتجمّع النّاس في حركة دائمة، إلّا أنّ الحرب سلبت النّاس متعة الحركة، وأصبحت خاوية إلّا من أكياس القمامة الّتي تعبّر عن قزارة المشهد، وسوداويّة المكان الّذي عكس نفسية هؤلاء الشّبان المتعبة، وقد توجهوا للجبهة لمواجهة المحتل .

أمّا بيروت الّتي قصدتها ماريا الحسون للقاء الثّوريين الفلسطينين فقد اتُخذت تلك المدينة البعيدة عن الحرب مقراً لاجتماع التّنظيمات الحزبيّة الّتي تخطّط لمواجهة الاستعمار، فيصورها الكاتب مدينة تعجّ بالنّاس والحياة " استغرق في المدينة، انسجم مع الدّفق البشري والتّكوين العجيب : بنايات/ سيّارات/ متاجر/ أعمدة/ وفي المساء يكون للمدينة خلق آخر: صالات السّينما/ المسرح/ القمار/ المني/ معارض الفنانين. "[15] فهي تتمتّع بالسّيادة والاستقلال على نقيض دمشق الّتي تواجة شبح الحرب.

وفي سياق حديثه عن الإطار المكاني الّذي تجري فيه الأحداث يصف لنا مدينة فلسطين فلا يعتمد الوصف الهندسي لها، بل يصفها من خلال إسقاطات نفسيّة، يذكر فيها بعض معالمها ورموزها، فنراه يكنّي عنها بمدينة القدس تلك المدينة الشّريفة، الّتي انطبعت في مخيّلته صورتها، وهي تسبّح في روحانيّة دينيّة غاية في الرّوعة والجمال يتحسّر فيها على عدم استطاعته زيارتها ، فالمدينة استحوذت مكانة واسعة، فكانت ببيئتها المعقدّة مسرحاً لكثير من الأحداث الّتي عاشتها الشّخصيات وساهمت في تطوّرها وتناميها.

---

[11] **المرجع السّابق، ص 31.**

[12] **حسين، خالد : شعرية المكان في الرّواية الجديدة ، د.ط، مؤسسة اليمامة الصّحفيّة ، الرّياض، 2000م، ص 157 .**

[13] **سليمان، نبيل، المسلّة، ص10.**

[14] **المصدر السّابق، ص260.**

[15] **المصدر السّابق ، ص 256 .**

- **القرية :**

إذا كانت الرّومانسية اتجهت إلى الرّيف" القرية " من خلال دعوتها إلى العودة للطبيعة، فإن الواقعية اتجهت إليها، لأنّ ظلم الإقطاع تجسد فيها، والقرية تنتج والمدينة تأكل، ولا تأثير لها في الشأن السّياسي؛ لذلك لم تجد القرية من يهتم بها من السياسيين أو غيرهم، بل عانت من ظلمهم واضطهادهم لها.[16]

ففي رواية "جرماتي" يصف الرّاوي المكان، فجرماتي هي أيّة قريةٍ عربيّة تعيش زمن الاحتلال، فانسحاب المحتلّ، فانتظار السّلطة .

إذا كانت قدرة نبيل سليمان على الانتقال من المكان إلى الفضاء من الميزات الفنّية الأساسية في رواية جرماتي، فإنّ هذه الميزة هي الّتي عبّرت عن أنّ جرماتي / القرية هي المكان الرّوائيّ الذي اتضح حين اخترقته الشّخصيّات الرّوائيّة.

وفي (جرماتي) عنوانان : رئيس هو (جرماتي)، وفرعي هو (ملف البلاد التي سوف تعيش بعد الحرب). والتّدقيق في هذين العنوانين يخدم القارىء في تعرف هدف الرّواية وهو الحديث عن شيء يخصّ مكاناً محدداً. ذلك أن جرماتي، كما سيكتشف القارىء قرية؛ أي مكان جغرافي، ولكنها قرية غير محددة جغرافياً. وما يقّدمه سياق الرّواية عن قرب هذه القرية من (دمشق) لا يعني شيئاً في العرف النّقدي؛ لأنّ استعمال اسم (دمشق) لا يحدد القرية، بل يخدع القارىء الذي يطابق بين الواقع الخارجيّ والواقع الرّوائيّ، فيجعله يظنّ بأن جرماتي مثل (دمشق) مكان حقيقي، في حين أنهما ليسا كذلك في العرف النقدي والرّوائيّ معاً. إنّ (جرماتي) مكان روائي لا يتحدّد قبل فراغ القارىء من قراءة الرّواية، وما استعمال هذا المكان في عنوان الرّواية إلّا تمهيد نفسي للقارىء المتلقّي، ومن العبث أن يعتقد القارىء بأن العنوان الفرعي للرّواية تكرار لا فائدة منه. ذلك لأنّ هذا العنوان يضمّ شيئين لا يعبّر عنهما العنوان الرّئيس:

أولهما : عبارة (بعد الحرب). فهذه العبارة تدلُّ على أن الحديث عن جرماتي سيكون خاصّاً بزمن معين، هو زمن ما بعد الحرب.

وثانيهما : كلمة (البلاد) التي تناقض صيغة (جرماتي)؛ لأنها جمع بلد، ولا علاقة لها بجرماتي القرية الواردة بصيغة المفرد. ولو جاء العنوان على النحو الآتي : (ملف البلد أو القرية الّتي ستعيش بعد الحرب) لما كان له معنى ومغزى، إذ إنّ معناه ومغزاه كامنان في تلك المغايرة بين القرية – وهي مكان له اسم محدد مخصص– والبلاد وهي جمع يفيد التعميم. وسيكتشف القارىء الّذي ينعم النّظر في العنوان الفرعي أنّ هدف الرّواية النهائي هو تعميم دلالة (جرماتي) وليس تخصيصها، بنقل التّسمية من مكان جغرافي محدّد إلى وطنٍ أكثر اتساعاً.

فيصوّرها الكاتب قرية يعيش أصحابها حياةً بسيطة، وهي من أكثر الأماكن الّتي يرتبط فيها الإنسان صاحب المنبت الأصيل فهي تعمّق انتماءه لها، وتشبثه بها، وقد ظهرت القرية على امتداد رواية جرماتي، وقلّ توصيفها في رواية المسلّة " **تمتدّ بيوت جرماتي صعداً في التّلة الكبيرة . متلاصقة في بعض المواقع متجاورة دوماً، تاركة فيما بينها فجوات للتنانير، الزّرائب، مكانس الحطب، والمصاطب الّتي تظلّها في الصّيف عرائش الدّوالي**" فيصوّر لنا تنوّع البيوت الّتي التصقت ببعضها البعض، واتّخذ أهلها نمط الحياة البسيطة، فالنّاس تأكل من التّنانير، وتعيش من تربية الحيوانات، فهي تدلّ على حال قاطنيها من حيث البساطة، ومقوماتها البسيطة إلّا أنّ تلك البيوت استبيحت، وطمست معالمها، ولم يبقَ منها إلّا بعض الملامح بعد احتلالها " **ماذا جرى لك يا جرماتي؟ ماذا فعلت بك هذه الشّهور**

[16] **ينظر : حسن عبد الله، محمد: الرّيف في الرّواية العربية، المجلس الوطني للثقافة والفنّون والآداب، الكويت، 1989 م ، ص53 .**

التّسعة؟ أين كان الكرم؟ أين كانت السّاحة ؟ الزّقاقات؟ المدرسة؟ المشمش الّذي كان الخريف قد عرّاه وصفّره؟ السّواقي النّاشفة الضّامرة؟ ماذا فعل الإسرائيليون بي إذن يا جرماتي؟ ماذا فعلوا بك؟."[17]

فنلحظ أنّ الكاتب استطاع أن يصوّر لنا القرية بكل تفاصيلها بموضوعيّة عكست روح ابن القرية، وبلورة رؤاه .

- **سوح القتال**

كان لسوح القتال مساحة كبيرة في روايتي نبيل سليمان التأريخية، واتّخذ في وصفها طرقاً متعدّدة ومتنوّعة، فلو بحثنا في رواية "المسلّة "، نلحظ اعتماد نبيل سليمان على عنصري الزّمان والمكان في معرض كلام السّارد عن الاستعداد للقتال:

" **الخضرة تلفّ المعسكر، تضاعف من قتامة السّواد اللّيلي . لم يعد المعسكر التّدريبي مأموناً . مئات الكيلومترات تفصله عن الجبهة وعن الأمان ... ومنذ رمتنا الجيب على مدخل المعسكر انهالت علينا أوامر جديدة ليست مثل كل ما عرفنا من قبل. إنّهم يقودوننا شطراً آخر من الدّنيا: تقذف محتويات الخزن الخشبية المسوسة، نكبسها في الأكياس المخصّصة، نتسابق في نقل الفرش المتحجرة والبطانيات، وفي المشوار الأخير من تلك اللّيلة، ننقل السّلاح إلى الأطراف الغربية للبساط الأخضر المديد، ننصب الخيام، نستقبل السّادس من تشرين الأول ١٩٧٣.** "[18]

نلحظ كما صوّر لنا الكاتب ساحات القتال، فهي ساحات مستلبة الأمان، تعيش حالة من التّرقب، فالعدو أصبح على مقربة، وساعة الصّفر قاربت على البدء، والقلوب تدقّ خوفاً في ذلك اليوم السّوداوي الّذي سيعلن انبلاج صباحه عن بدء الحرب (حرب تشرين)

الّتي ستعمّ المكان وتنتشر في كلّ اتجاه أرضاً وسماءً ناشرة الدّخان، والأصوات المرعبة

" **الأسراب الخفيضة هدرت الميج 21. السّماء نفسها انحجبت بالطّائرات الرّائحة والعائدة والانفجارات المرعبة ... وانشقّت الأرض ... انشقّت السّماء .. الحرب أيّها النّاس .... الحرائق والدّخان والرّعد الخرافي .**"[19]

فالسّارد يسعى إلى إيراد الأحداث الخياليّة، من خلال تداعيات الأفكار لبعض الشّخصيّات، في أرض المعركة الّتي يديرها طرفي الصّراع، ويصوّرها الكاتب بأساليب مختلفة .

- **المكان المغلق :**

إنّ الحديث عن الأمكنة المغلقة : "هو الحديث عن المكان الّذي حدّدت مساحته ومكوناته، كغرف البيوت والقصور، فهو المأوى الاختياري والضّرورة الاجتماعيّة، أو كأسيجة السّجون، فهو المكان الاجباري المؤقّت، فقد تكشف الأمكنة المغلقة عن الألفة والأمان، أو قد تكون مصدراً للخوف، أو هو الأماكن الّتي يقصدها النّاس لتقضية الوقت، والتّرويح عن النّفس كالمقاهي، أو هي تلك الأماكن الّتي تتردّد عليها الطّبقة المترفة لتشبع نزوتها كالملاهي."[20]

نقصد بالأماكن المغلقة : "**الأماكن التي تحدّها حدود من جوانبها الثلاثة على أقل تقدير، بشرط أن تكون لها حدود سقفية .**" [21]

---

[17] **سليمان، نبيل : جرماتي، ص39.**

[18] **سليمان، نبيل : المسلّة ، ص 13.**

[19] **سليمان، نبيل : المسلّة، ص44-45 .**

[20] **عبيدي، مهدي : جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، منشورات الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب، وزارة الثّقافة، دمشق، 2011م، ص 43.**

[21] **الحربي ، رحيم علي جمعة : المكان ودلالته في الرّواية العراقية ، ص 82.**

ويأخذنا الكلام عن المكان المفتوح والمكان المغلق إلى المعايير النسبية التي قد تجعل المغلق مفتوحاً والمفتوح مغلقاً؛ بحسب نفسية الشّخصيّة الموجودة في المكان، وظلال المكان المنعكسة عليها، وزاوية نظر الشّخصيّة.

ويمكننا رصد أشكال عدّة للمكان المغلق في روايتي نبيل سليمان، وسيتناول البحث بالدّراسة الأماكن المغلقة الأكثر شيوعاً في هاتين الرّوايتين .

- **البيت :**

إنّ البيت يحظى بأهميّة بالغة في حياة الإنسان، فمنذ أن يتشكل الوعي لديه يرتبط بمشاعر حميمية مع المكان الذي يسكن فيه، ويظلّ يحنّ له إذا ابتعد عنه.

ويعد البيت ظاهرة بارزة في رسم عالم الرّواية؛ لذلك اجتهد الأدباء في بيان تفاصيله، وأضفوا عليه بعضاً من إنسانيتهم بما أبدعوا فيه من حركة بين ساكنيه وتفاعل هؤلاء مع ماحولهم، فجعلوا لهذا البيت في عالم الرّواية تاريخه الخاص، يستمده من تاريخ ساكنيه.[22]

ثمّ إنّ الرّواية ليست استنساخاً من الحياة صورة طبق الأصل، بل هي قطعة من الفنّ وصورة من صور الإبداع، والحقيقة إنها صورة مثالية ترتبط بالواقع من خلال التّشبيهات والاستعارات[23]؛ لذلك عمد الرّوائيّون إلى إضافة وظائف للبيت أكثر من كونه مكاناً ينشد فيه الإنسان الأمان والرّاحة، إلى كونه يعمل على توليد الأحداث في الرّواية، وبدونه لا يمكن النّظر بتجرد إلى أي عنصر من عناصر العمل الرّوائيّ في عدد كبير من الرّوايات فالبيت" **معطى مشحون بالدّلالات والقيم الرّوحية، فلا يتوقف حضوره على المستوى الحسي بل يتغلغل في أعماق الشّخصيّة راسماً مسارات وأخاديد غائرة في مستويات الذّات المختلفة ليصبح جزءًا صميميًا منها .**" [24]

يمرّ نبيل سليمان بوصف البيوت في روايتيه مروراً سريعاً في الغالب، وقد يعطي بعض التّفصيلات أو الأوصاف في أحيان قليلة، ومن هذه الأحايين القليلة ما جاء من وصف البيوت بعد الانسحاب منها " **إنّهم عادوا منذ شاع خبر الانسحاب، أرادوا أن يتوزّعوا على البيوت المخرّبة . النّازحون بدأوا يعودون، البيوت بلا أسطحة، بلا جدران، بلا أبواب، بلا نوافذ.**" [25] فالبيت هنا يفارق وظيفته بوصفه مكاناً مغلقاً يحمل في الغالب مزيداً من الطمأنينة، والأمان، والحريّة، ويبعث على الدّفء العاطفيّ، ولكنّه هنا يظهر مفارقاً لشروطه الهندسيّة والمعنويّة، فالبيوت بلا أسطح، وبلا جدران، وبلا أبواب، ونوافذ.

" **هذا بيت أبي سمية : ارتفعت الجدران، أخشاب السقف تنتظر نجارة زاهي ، بعد نجارته يأتي الإسمنت. بعد الإسمنت ننزع خيمة أو سمية . لا زالت الخيمة قائمة خلف البيت. صار فيها فراش وأوان. ينبعث من داخلها صوت راديو ناعم. لا زالت أم سمية متشبثة برائحة التّراب الذي آواها في يوم من الأيّام مع أبي سميّة** "[26].

---

[22] **ينظر:ولعة ، صالح : سيميائية البنية المكانية في رواية "كراف الخطايا"، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، ع 447، ص 363 – 364 .**

[23] **ينظر: لوبوك ، بيرسي : صنعة الرّواية، ترجمة عبد الستار جواد، ط2، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، 2000م ، ص32.**

[24]. **بنيتي ، زهير : بنية الخطاب عند غادة السمّان –مقاربة بنيوية، اطروحة دكتوراه، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، جامعة العقيد الحاج لخضر، الجزائر، 2007 م، ص 220.**

[25] **سليمان، نبيل : جرماتي، ص64.**

[26] **سليمان ، نبيل : جرماتي ، ص 115.**

وفي سياق الحديث عن بيت الرّقيب غالي، ومحاولة إعادة بنائه بعد **ستّة** أيّام من الانسحاب " **بيت مرقّع ترقيعاً عجيباً . سترت الرّقع عورة البيت، لكنّها شوّهته. صار مزموماً مثل البنطلون الّذي يلعب به المقص بعد عمر طويل . الغرفة اليساريّة أطول ممّا يجب بكثير، أضيق ممّا يجب بكثير. لم تعد الشّمس تدخلها، الجدران في الدّاخل ملساء في ناحية الجزء الصّغير الّذي لم يُدمّر، متعرّجة شوهاء في سائر النّواحي .**"[27]

فالبيت لم تعد تتوفّر فيه أدنى شروط الصّحة، فلا الضّوء يدخله، ولا أشعة الشّمس، بل أصبح مكاناً للابتعاد عن الضّغوطات الخارجيّة، ومحاولة للفرار من الواقع فحسب، ذلك الواقع الّذي تسيطر عليه فكرة الدّمار والخراب، ويعكس طبيعة ساكنيه الّتي ترضى بأدنى متطلبات الحياة . وبالمقابل يظهر بيت السّكماني _الفيلا_ الّتي تربّعت التّلة فيظهر " **الباب الحديدي الّذي يفضي عبر فسحة طولانيّة إلى بيت السّكماني، الصّالون الدّاخلي ... الدّرج الدّاخلي... الدّرج الرّخامي... الغرف شبه عارية، تشي بالرّفاه وسط جرماتي الفقيرة المدمّرة .**"[28] فيظهر لدينا أنّ بيت السّكماني بيت واسع وكبير، وجميل، يعكس حالة صاحبه الاجتماعيّة فهو من الطبقة العليا الّتي تتمتّع بالرّفاه، فهو من أثرياء جرماتي ينعم بالنّعيم وسط تلك القرية الفقيرة المهدّمة

وبذلك يكون نبيل سليمان قد استثمر وصف البيت أو الغرفة بحسب حاجة الرّواية إلى ذلك، فأحياناً يسهم البيت في مجرى الأحداث، فلا بد من وصفه، وقد يرمي الكاتب من خلال الوصف رفد صورة عن شخصية صاحب البيت، وفي هذه الحالة يفصّل في الوصف، وفي بعض الرّوايات لا يرسم لنا صورة البيت فهو مجرد مكان يذكر بعجالة ودون تفصيل، ويكون التّركيز على الشّخصيّة والأحداث وكان البيت عند نبيل سليمان من هذا النوع الأخير .

-السّجن :

يعدّ السّجن من أشد الأماكن وطأةً على الإنسان، فهو أخطر عقوبة سالبة للحريّة، لذلك ينبغي " **على السجن أن يكون جهازاً للانضباط لا يفوته شيء، وذلك بمعان عدة : فهو يتولى شؤون الفرد بجوانبه كلها، من ترويضه الجسدي إلى قابليته للعمل إلى مسلكه اليومي إلى موقفه الخلقي إلى استعدادته الأخرى.**"[29] ويكاد لا يخلو مجتمع من المجتمعات سواء منها المعاصر أو التأريخي من وجود السّجون وإيداع الخارجيّن عن القانون فيها، فالسّجن واقع إنساني، شئنا ذلك أو أبينا .[30]

"**إنّ السجن ضرورة اجتماعية وقانونية لا يمكن الاستغناء عنها فالجريمة ظاهرة اجتماعية لا يخلو منها مجتمع ولا يتوقاها زمن منذ نشأة الأرض.**" [31]

وعلى هذا الأساس دخل السّجن إلى العالم الرّوائيّ.

---

[27] **سليمان، نبيل : جرماتي، ص109.**

[28] **المصدر السّابق، ص78-79.**

[29] **بيضون، أحمد : مداخل ومخارج (مشاركات نقدية)، ط1 ، المؤسسة الجامعة النشر والتوزيع، بيروت ، 1985 م ، ص 54 .**

[30] **ينظر: غانم، عبد الله عبد الغني : علم اجتماع السجون نحو علم جديد للسجون والمؤسسات العقابية والإصلاحية، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، الرّياض، مج 18، ع 35، 1424 هجرية، ص156.**

[31] **المرجع السّابق ، ص 159 .**

وحفلت روايتا نبيل سليمان بإشارات كثيرة إلى حالات اعتقال وسجن لشخوص مناوئين لنظام سياسي معين، أو معتنقي أفكار تتعارض وأهداف ذلك النظام . وقد اتسمت كتاباته عن هذه الحالات بالصدق والواقعية؛ لأنه عانى من تجربة السّجن السّياسي .

إذ تفاوت ذكر السّجن في روايتي نبيل سليمان فيصوره لنا الكاتب مكاناً للإقامة الجبرية يمنع فيه الشّخص من التّحرك بحرية للأشخاص قليلي الانضباط لتحويل سلوكهم إلى أشخاص منضبطين ، ويتجلّى ذلك بما قام به أحد الضباط مع الجندي عندما أمر بوضعه في السّجن " **ياقليل الانضباط يا عديم التّربية : ماذا تنفعك المحاولات؟ ثمّ أمر العريف بإيداعه السّجن حالاً، وحرمانه من الخروج لأي سبب**"[32]، أمّا في جرماتي الّتي خلت من السّجون فقد سعى الإسرائيليون إلى تحويل المدرسة لسجن يخدم متطلباتهم ويتحوّل من مكان لتلقي التّعليم إلى مكان لمصادرة الحريّات بما يتوافق مع مصالحهم، ويتناسب مع رؤى الكاتب "**غرف المدرسة ضيقة ياسيدي . هكذا صار الحبس أكبر صحيح جرماتي فارقت الكثير، لكنّ الحبس ضروري من أجل الباقين . لم يعد للغرف لزوم في المدرسة يا مختار . حبس، مستودع، مهجع.**"[33] وقد يكون من الإشارات الدالّة على مستوى استشراف المستقبل أن يكتب زهير خليفة وهو إحدى شخصيّات الرّواية من السّجن لماريا الحسون، وهي شخصيّة أخرى من شخصيّات الرّواية .

فقد جاء في الرّواية : "**وراح يكتب إلينا من السجن طيلة الشّتاء عن المفاوضات مع إسرائيل والاعتراف بها سرّاً أو جهاراً . وعن الدّولة الفلسطينية القادمة ويسأل ماريا مناكداً عن المنصب الذي ستحتلّه في حكومة المنفى أو الحكومة الثّورية أو ... أو ...**" [34] .

نلاحظ أنّ الوصف السّابق قد أورده الكاتب؛ لغرض رسم صورة متكاملة للسجن من الدّاخل والخارج، ونقلنا إلى أجواء السّجن .

والملاحظ على هذه الرّواية أنها لا تستنطق السّجن إلا بقدر ما يريده الكاتب، فإنّ الرّواية لا تمدّنا بجميع المعطيات التي توضح لنا المكان " السّجن " من وصف خارجيّ أو وصف زنزانة أو ساحة، وإنّما أرادنا أن ننظر إلى ساحة كبيرة في السجن الحربي يعذب فيها المتهمون في أثناء التحقيق معهم لحملهم على الاعتراف .

وهكذا نجد أنّ تجربة نبيل سليمان في السّجن كان لها انعكاسات على روايتيه، فقد كان وصفه لمكان السّجن موفقاً لدرجة كبيرة ، تمكن من الإلمام بجميع تفاصيله، وكانت هذه التفاصيل تكشف عن الشّخصيّات بشكل كبير وتسهم في تطور الأحداث.

- **المستشفى :**

هو من أماكن العمل المغلقة، والإنسان غالباً ما يلجأ إلى هذه المستشفيات عند تعرضه لأزمات صحية ، سواء أكانت هذه الأزمات نتيجة لأمراض مزمنة أم مؤقتة؛ ناشداً البرء فيها .

والمستشفى بوصفه مؤسسة علاجية أولاً ووقائية ثانياً، قد فرض نفسه على واقع المجتمعات؛ ولأن الفنّ الرّوائيّ يحاكي المجتمعات فقد تناولت كثير من الرّوايات المستشفى بوصفه مسرحاً لأحداثها؛ لكونه يزخر بكثير من المواقف التي يمكن استثمارها في الفنّ الرّوائيّ .

---

[32] **سليمان، نبيل : المسلّة، ص150.**

[33] **سليمان، نبيل : جرماتي، ص54.**

[34] **سليمان، نبيل : المسلّة، ص 121.**

انطلقت الجيب في الشّوارع الخالية الوسخة . وسرعان ما عبقت رائحة المستشفى العسكري الّذي يمتد على ضلعه الأيسر شارع مستقيم عريض، يفضي إلى مستقرنا . انعطفت الجيب في شارع يتعامد مع المستشفى وينتهي بالبيت . الشّرفة الشّرقية تطل على الشارع . مالت أجنابنا وظهورنا فوق الحديد المثلج العاري . واستطعت أن اختلس نظرة ريّا من البيت . ولم تكن رائدة قد أطفأت النور بعد. " [35]

إذ يعكس المقتطف السّابق تصويراً للمشفى فيغدو ذا رائحة تمتدّ إلى نفس القارئ ليشعر بوجوده الفعليّ في هذا المستشفى .

-المسجد :

لكل دين على وجه الأرض سواء أكان سماوياً أم أرضياً طقوس للعبادة، والدين السماوي له نوعان من العبادة، عبادة جماعية تمارس في أماكن محدّدة، وعبادة فرديّة تمارس في أي مكان، و" المسجد " هو مكان العبادة الجماعية عند المسلمين .

يحظى " المسجد" بمكانة عالية في نفس المسلمين ذلك أنّ الذهاب إليه والصلاة فيه لهما ثواب كبير عند الله، عن أبي هريرة " رضي الله عنه " عن النبي "صلى الله عليه وسلم" **(إن أحدكم إذا توضأ فاحسن، وأتى المسجد، لا يريد إلا الصّلاة، لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة، وحطّ عنه خطيئة، حتى يدخل المسجد)**[36] .

ولقد ترجم نبيل سليمان هذه المكانة العالية في نفسه للمسجد بمساحات مكانية شغلها المسجد في متن روايتيه ، لقد أدرك نبيل سليمان حقيقة المسجد بوصفه رمزاً للعبادة، وليس زخارف معمارية، فالمساجد عنده مشحونة بالدّلالات الرّوحيّة والاجتماعيّة والسّياسية ، وكانت الدّلالة الرّوحية تسيطر على أغلب المساجد في رواياته، إلّا أنه أبدع في استثمارها في رواية " جرماتي.

انتهت المرحلة الأولى من مشروع تعمير الدّولة لجرماتي . تبارى ديوب والبرزغل في بث الأخبار :

سوف يقام احتفال كبير، سوف يفتتحون المرحلة الثّانية من مشروع التعمير، إصلاح المئذنة، توسيع المسجد، إصلاح المدرسة ." [37]

إذ يلعب المسجد دوراً مزدوجاً ، اجتماعياً ، وروحانياً بوصفه مكاناً للعبادة الجماعية ، وملاذاً لكل شخص يطلب الرّاحة والسّكينة " **رابط الشّيخ محب قبيل الظهر في المسجد، ومعه ابنه . أحسّ بقوة خفية تدفعه إلى التمسك بالمئذنة والمحراب . عدّ ذلك إلهاماً من الله . رثا طويلاً في سره وعلنه لديوب . حلّ الآذان هرع إلى سطح المسجد عبر المئذنة . رفع الآذان كالعادة**

استوقفه في البداية خلو السّاحة من النّاس . دكان بيزو نفسه مغلق . رفع صوته ما وسع بمقابيل الآذان. لم يواته هذا الصّوت منذ أذن أول مرّة في جرماتي، لم يلّب أحد ممن يرغب في قدومهم . أدى الصلاة مع ابنه وعجوز يلازم المسجد من الرّبيع إلى الخريف . تربع عقب الصلاة يسبح مفكراً في غياب أهل جرماتي. "[38]

---

[35] **سليمان، نبيل : المسلّة، ص 10.**

[36] **البخاري، الحافظ أبي عبد الله محمد بن أسماعيل (ت 256): صحيح بخاري، د.ط، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع ، الرياض ،، 1998 م، ص112 .**

[37] **سليمان، نبيل : جرماتي، ص 202.**

[38] **سليمان ، نبيل : جرماتي ، ص 29.**

ومن الواضح أنّ المسجد بوصفه يحمل دلالة دينيّة وروحيّة فهو يمتلك القضية، ويدافع عن الحقوق، ويرفض كلّ مايخالف وجوده الّذي تعارف النّاس عليه ومن ذلك رفض الشيخ عبد السّتار الّذي ترك المسجد وهرب بنفسه بعد دخول المحتل " ابعد من هنا أيضاً، لقد لفظك المكان مثلما لفظته ... بيوت اللّه ملك اللّه . بيوت اللّه ليست لعبيده ."[39]

لقد كان المسجد في هذه الرّواية بؤرة ضوئية انطلقت منها الأحداث، ومن خلاله قادت الشّخصيّات جدلية الحبكة، وبذلك يكون المسجد في روايات نبيل سليمان حقّق أهدافاً أخرى غير كونه مكاناً مغلقاً تجري فيه الأحداث، إلى كونه مكانا تنطلق منه الأحداث ويسهم في تناميها، ومن خلاله نسبر غور الشّخصيّة ونتعرف عليها.

- **المكان الأليف، المعادي :**

وهي الأماكن الّتي يظلّ الإنسان مرتبطاً بها، ويتذكّرها كلّما ابتعد عنها لما تمنحه من الدفء والرّاحة، والأمان، وعندما نتحدّث عن المكان الأليف فإنّ أوّل مكان يقفز إلى خيالنا هو البيت، فهو من أهم الأماكن الأليفة وأكثرها قرباً من نفس الإنسان .

المكان عند غاستون باشلار هو المكان الأليف فقد انصبت دراسته على " البيت " فربط أحلام اليقظة به، ونحن " **حين نحلم بالبيت الّذي ولدنا فيه، وبينما نحن في أعماق الاسترخاء القصوى، ننخرط في ذلك الدّفء الأصلي، في تلك المادة لفردوسنا المادي. هذا هو المناخ الذي يعيش فيه الإنسان المحمي في داخله. سوف نعود إلى الملامح الأمومية للبيت** "[40]؛ إذاً فالمكان هو وسيلة اتّصال بين المبدع والقارئ بواسطة الصّورة الفنّية التي يرسمها المبدع، ولا وجود للمكان المعادي عنده كمعادل للمكان الأليف، وقد عدّ "باشلار" بيت الطّفولة هو جذر المكان وارتباط كل ذلك بحركة الخيال بالنّسبة إلى المبدع والمتلقي [41].

لقد عرض نبيل سليمان لهذه الثنائية المكانية في تصويره للبيت، وهو من الأماكن الأليفة الّتي نعود إليها فتسرقنا من خيباتنا وأحزاننا إلى عالم ننشد فيه الرّاحة والطمأنينة، فيهرب إليه الإنسان كلّما أحسّ بالضّيق، فنرى بطل الرّواية يتمنّى العودة إليه ليلقي عنه ثقل الأيّام" **آه لو أنّ كلّ ساعة أقضيها بينهم في ذلك البيت تمتدّ عاماً**."[42]

إنّ هذا المكان يتحوّل إلى مركز للأمان ليس فقط لنبيل، وإنّما لجميع النّاس الّذين يقصدونه، فيشبهه الكاتب بالكعبة الّتي تحمل رمزاً دينيّاً وروحيّاً لكلّ مؤمن، وهم يؤمنون بقضيتهم الّتي يجتمعون لأجلها ألا وهي حب الوطن، فينشدون فيه الرّاحة والأمان " تقدّمت إلى منتصف غرفة المكتبة، وأطلت ... السّرير الإضافي في فندق الحجر الأسود : هذا البيت كعبة الأحباب." [43] إلّا أنّه لايلبث أن يصبح مكاناً معادياً يشيع في نفس قاطنيه الخوف، والذعر بعد أن افتُضح أمر رائدة وعملها الحزبي، ومطاردتها فيصبح البيت مهدّداً يشيع فيه الخوف، فجاء على لسان مصطفى في حديثه مع نبيل :

" – خذ أروى وناما في مكان آخر. اذهبا إلى مرشد مثلاً، وأنا أبحث عن مكان

– ليس بيته أكثر أماناً من هذا البيت"[44]

---

[39] المصدر السّابق، ص 32–33.

[40] باشلار ، جاستون : جماليات المكان، ص38.

[41]ينظر: باشلار ، جاستون : جماليات المكان، مقدّمة المترجم، ص7.

[42] سليمان، نبيل :المسلّة، ص204.

[43] سليمان، نبيل :جرماتي، ص54.

[44] المصدر السّابق، ص278

فالبيت لم يصبح معادياً لرائدة زوجة نبيل، بل وله أيضاً، فهو يرى أنّ شبح الموت يتربّص بالبيت أينما توجّه " **وفي زاوية الغرفة الكبرى تكوّم ميخائيل حزيناً . لم يزل القتل جاثماً فوق أركان البيت على الرّغم من محاولاتي المستميتة .**"[45]

ومن تصويره لأحد شوارع المدينة، يقول :

" **أفضى بهما أحد فروع شارع فيصل الغربية إلى معمل الكهرباء المغلق، فالحديقة العامّة، ثمّ اتّجها نحو السّليمانية، وتمازجت ظلال المدينة الموحشة بالخوف والرّغبة والعالم الملتهب. والتصقت به وهو يبحث عن الحبيب الأوّل أو الزّوج الأوّل، ويغالب ما اعتراه فلا يفلح.**"[46]

تعكس ألفاظ المقتطف السّابق حالة الوحشة من المكان ليغدو مرآةً تعكس الخوف وعدم الألفة **إذ** تظهر حالة الذّعر والبحث عن الأمان والحبّ فلا يفلح في ذلك .

إذا كان المكان الموصوف مضاءً من معظم جوانبه، و خصوصاً المركزيّة التي تحمل إشارات تساعد القارئ عل تخيّل الجهات المظلمة التي تركها الرّاوي بقصد غايات فنّيّة و جماليّة، و كانت الشّخصيّات – ولا سيّما الرّئيسة – تقطن فيه، حيث يتكرّر ظهوره بظهورها على مسرح الأحداث، أو مكاناً يكثر اختراقه (كالطّريق ، أو السّوق ، أو ...)، و هذا أيضاً سيكون سبباً في تكرار ظهوره، إذا كان المكان يتّصف بهذه الصّفات كلها، أو بإحداها، ففي هذه الحال نكون بصدد المكان الرّئيس في الرّواية .

و لا بدّ للرّوائيّ خلال بنائه للمكان من أن يجعله " **منسجماً مع مزاج و طبائع شخصيّاته و أن لا يتضمّن أيّة مفارقة، و ذلك لأنّه من اللازم أن يكون هناك تأثير متبادل بين الشّخصيّة و المكان الذي تعيش فيه أو البيئة التي تحيط بها بحيث يصبح بإمكان بنية المكان الرّوائيّ أن يكشف لنا عن الحالة الشّعوريّة التي تعيشها الشّخصيّة بل و قد تساهم في التّحوّلات الدّاخليّة التي تطرأ عليها.** " [47] فالبيئة المكانيّة الموصوفة تؤثّر في الشّخصيّة، و تتأثّر بها، و تدفعها للقيام بأحداث تتناسب معها . و يمكن القول : إنّ وصف المكان يوحي بوصف الشّخصيّة التي تقيم فيه .

و يُعدّ الحضور الإنسانيّ في المكان عاملاً أساسيّاً في اكتمال فهم القارئ له، فالمسكن – على سبيل المثال – " **لا يأخذ معناه و دلالته الشّاملة إلّا بإدراج صورة عن السّاكن الذي يقطنه و إبراز مقدار الانسجام أو التّنافر الموجود بينهما و المنعكس على هيئة المكان نفسه و جميع مكوّناته، بل إنّ النّسق الوصفي لا يفعل، في بعض الأحيان، سوى أن يربط بين وصف الشّخصيّات المهملة الدّلالة و الأماكن الّتي توجد فيها إذ يعطي لتواجد الشّخصيّات الدّلالة الكامنة في تلك الأماكن . و هكذا سننتهي إلى اكتشاف نوعٍ من التّطابق و الاندماج قلَّ نظيرهما بين طبيعة البيت و شكله و بين نوعيّة الشّخصيّات التي تقيم فيه .** " [48]

---

[45] **سليمان ، نبيل : المسلّة، ص271.**

[46] **المصدر السّابق، ص 72–73.**

[47] **بحراوي، حسن : بنية الشّكل الرّوائيّ، ص 30 .**

[48] **المرجع السّابق، ص54.**

هاهو يقول :

" **بارك إخلاصها، وتخلصا من نجوان سريعاً . استغرقا في فروع شارع فيصل المتّشحة بسواد جنائزي: أشجار الصفصاف السامقة تحبو على الأرصفة وعلى أسوار البنايات المنسقة البديعة، وشاع الدّفء في الليل التّشريني . تسلّل بين الجنبين خوف لذيذ أشبه بالخدر . رجل وامرأة يتهاديان في شوارع معتمة ومفقرة، يكادان يتلاصقان .**" [49]

يتّضح لنا أن الشّخصيّات تملك أحاسيس متناقضة للمكان، فهي تشعر بالألفة لمكان وبالعداء لمكان آخر .

ومن ذلك نستنتج أنّ المكان المتعارف عليه أنه مكان أليف قد يكون عند بعض شخصيات نبيل سليمان مكاناً معادياً أو في أقل الاحتمالات مكاناً غير أليف .

أمّا إذا تكلّمنا عن المكان المعادي، فأوّل ما يتجسد أمام أنظارنا مكان " السّجن "، بكل ما تحمله الكلمة من قيود وسلب للحريّات .

ومع ذلك تتفاوت الشّخصيّات الرّوائيّة في تعاملها مع مكان " السّجن " بوصفه واقعاً معاشاً، تتباين انعكاساته النّفسيّة على الشّخصيّات؛ فالشّخصيّات ذات التّكوين المتماسك القوي تحاول قدر الإمكان التكيف مع المكان، أما الشّخصيّات الهزيلة والمهزوزة فيصعب عليها ذلك، مما يؤدي إلى شروخ نفسيّة عميقة وغائرة .

- **المكان : الواقعي / المتخيل**

يعمد كتّاب الرّواية إلى مزج العالم الواقعي بالعالم المتخيّل في رواياتهم، فتأتي هذه الرّوايات مزيجاً بنسب متفاوتة بين الواقعي والمتخيّل .

فالخيال جزء أصيل من الإبداع الفنّي الرّوائيّ و" **الواقع ليس بينه وبين الكاتب أية حدود ؛ لأنه جزء من تكوينه الثقافي والنّفسيّ والاجتماعيّ .**"[50]

ولأنّ الرّوايات منها ما يغلب عليها الأحداث الدّراميّة ومنها ما تكون الشّخصيّة هي محور الرّواية كلّها، لذلك يمكننا القول :

" **إنّ العالم الخيالي للرواية الدّراميّة يقع في " الزّمان "، وأنّ العالم الخيالي لرواية الشّخصيّة يقع في " المكان " ففي الأولى، باختصار يقدّم لنا الكاتب تحديداً عابراً للمكان ويبني حدثه في نطاق " الزّمان "، وفي الثّانية يفترض الزّمان فيكون الحدث إطاراً زمنياً ثابتاً، يوزع دائماً ويعدل مرّة بعد أخرى في نطاق " المكان .**" [51]

إنّ معرفة الكاتب بالمكان الّذي يكتب عنه تمكّنه من وصف تفصيلاته وصفاً بالغاً في الدّقّة، وعدم الاعتماد في وصف المكان على الخيال المجرد وفي هذه الحالة يمزج الكاتب بين مشاهداته وخبرته بالمكان مع خياله، فيبدو المكان الموصوف في الرّواية أقرب إلى الحقيقة بعين المتلقي .

أمّا إذا اعتمد الكاتب على خياله دون مشاهدات لذلك المكان، فسوف يكون الوصف أقرب إلى وضع إطار للصّورة منه إلى وصف تفصيلات لتلك الصّورة، فيعمد الكاتب إلى استعمال أوصاف عامّة تنطبق على أي مكان، وقد يكون المكان بجملته غير واقعي، أي من صنع خيال الرّوائيّ " مكان خيالي " هنا تكمن براعة الرّوائيّ في إقناع المتلقي بوجود المكان على أرض الواقع .

---

[49] **سليمان، نبيل : المسلّة، ص٦٩ – ٧٠.**

[50] **الجنابي، قيس كاظم : النزعة الحوارية في الرّواية العربية، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2011 م، ص 115 .**

[51] **موير، إدوين : بناء الرّواية، ص62 .**

وفي هاتين الروايتين كان للمكان حضور فاعل، إذ أسهم في تطور الأحداث أو التّعرف على الشّخصيّة ونموها، وكان له تفاعل مع عناصر الرّواية الباقية ، إذ لعب المكان المتخيّل في روايتي نبيل سليمان دوراً مزدوجاً، فتارةً يكون المكان متخيلاً من الكاتب، وأخرى يكون متخيّلاً من الشّخصيّة، وكذلك الحال بالنسبة للمكان الواقعي، فما كان مكاناً واقعياً للكاتب قد يكون مكانا واقعياً أو متخيلاً للشخصية والعكس صحيح، ولتوضيح ذلك لابدّ من إيراد الأمثلة، فنلحظ ذلك لدى رافع الّذي أخذ يتخيّل زيارته لعمارة السّكماني، ولقاءه بفاهية، فجاء المكان المتخيّل على لسان الشّخصيّة، فأظهرت مشاعر الحب تجاه هذا المكان الّذي تسكنه فاهية الحبيبة السّريّة له، فحبّه لها جعله يتخيّل مكاناً يجمعهما لأنه لايستطيع وصالها حقيقة فجعله الكاتب متلائماً مع مكانتها الاجتماعيّة الثرية " لمن كلّ هذه الموائد الممدودة من الجدار إلى الجدار؟ كراسي مذهّبة؟ ثريّات تشعّ في السّقف المزخرف، سجّاد يغطي أرض الصّالون، أين الأنس، وأين الجن؟ أغمض عينيك يارافع، دع فؤادك يخفق على هواه ."[52]

وكذلك عند حديثه – بطل الروايه – عن الموت، فتخيّل أنّ الموت يحاصره من كل مكان، فيصور ذلك المشهد عندما شعر بالتوتر في أحد المهمّات الّتي كانت تقوم بها رائدة زوجته " رحت أتجول في الشّوارع المحيطة بموقعها . رأيت العلم الأميريكي ثانية بدا صغيراً، لكنّني رأيت رائدة صريعة أمامه . استدرت هارباً، فرأيت العلم الإسرائيلي ، وماريا الصريعة . ارتجفت وخيّل لي أنّني أفهم للمرّة الأولى سرّ الثّراء الّذي ينطق به هذا الحي وسواه ."[53]

وفي الحديث عن واقعية المكان نجد الرّوائي يسعى لذكر أماكن، ويعدّد أسماءها ومواقعها جغرافيّاً والّتي ربما عاشها، أو نقلها لنا من خياله ليوهمنا بواقعيتها، فيذكر لنا الأماكن الّتي جرت فيها المعركه " وردت المعلومات بخرق القوات الإسرائيليّة للجبهة في دورين وتل الشّحم والتّقدم نحو سعسع . وصدرت الأوامر بإرسال دبابات لحماية طريق سعسع، والاستعداد لشن الهجمات المعاكسة الفورية، بينما أرسلت سريّة أخرى لضرب الجنب اليساري للقوات الاسرائيلية . من مغر المير حتّى بيت سابر ويسارها. "[54]

لقد تحرّكت شخصيات نبيل سليمان في الرّواية في مكان واقعي، فقد كان المكان واقعياً بالنسبة إلى الكاتب والشّخصيّات، ذلك أن هذه الرّواية تتكلم على شخصيات تتحرّك على مسرح الأحداث الّذي تمثّله، مقدّمة هذا التّمازج بين الواقع والمتخيّل، فالمتخيّل هو وليد الواقع .

" سوف أنهي ما شرعت بكتابته منذ ذلك الزّمن السّحيق، وأخرج إليهم، لقد تعفنت في هذا الوكر الضّيق المعتم المعزول الّذي طال فيه اختفائي وشغلي منذ هربت إثر اعتقال رائدة. جارت بي النّاقة: من أراد اللّبن فليخرج، ولم أكن قد غفوت جيداً. ورددت في إثرها، وأنا على السّكين الفاصلة بين الحلم واليقظة. من أراد اللبن فليخرج، ورددت خلفنا أجناب الصحارى. والبحار. ورقص القلب. انتصبت في كل الميادين المسلّات، وعلى رؤوسها الحادّة تدافعت القلوب المخوزقة، ويبست الدّماء تحت الشّمس المشوّهة الحزينة. ضجت أنحاء الدّنيا بالقصف، هدرت الحناجر مطبقة على منافذ الكون، وشرعت الأمطار تنصب. لم أستطع أن أميّز فيها ما إذا كانت الحرب أم المظاهرات أم سواها. اغتسلت القلوب القلوب المخوزقة، ثم انحلت في ألق المطر والشّمس. تحطّمت المسلّات القديمة، وتلاشى القصف، واستحال الهدير حداء، وسار النّاس أزواجاً وفرادى يستمعون. أهم محتويات الكتاب: أيّام الحرب الأولى،

[52] **سليمان، نبيل : جرماتي، ص206.**

[53] **سليمان، نبيل : المسلّة، ص276.**

[54] **سليمان، نبيل : المسلّة، ص125.**

كيف استقبلت رائدة الحرب، ماريا الحسون ومصطفى باكير، أيام الحرب الأخيرة، هارون اليحياوي يقاتل، زهير خليفة في بيت جن، السّهرة الأولى في البيت الجديد، شارة حرمون، الإغارة يوم الأربعاء، الموت."[55]

في النّص السّابق حدّد لنا نبيل سليمان المكان الذي انطلقت منه أحداث الرّواية وتنامت، وحدّد لنا الكاتب أسماء بكثير من الدّقّة والتفصيل، مما ينم على خبرة بالمكان المذكور، فهو مكان واقعي له ولشخصياته يتداخل فيه المتخيل من خلال (وأنا على السكين الفاصلة بين الحلم واليقظة).

الاستنتاجات والتوصيات

لقد عاش نبيل سليمان حياة مليئة بمحطات مكانية عدة ، ولقد كان من الشّخصيّات التي يتولد لديها شعور واضح إزاء المكان الذي تعيش فيه ، فهو إما يحب المكان بكل مشاعره مما يدفعه إلى استثمار هذا الحب في نقله إلى رواياته ، وإما يبغض المكان بكل مشاعره ، وكذلك ينقل هذا المكان إلى رواياته ، لذلك نقل لنا كل الأماكن التي عاش فيها خلال أزمنةٍ متعدّدة .

كشف البحث عن ثقل فكرة المكان على نبيل سليمان ، مما دعاه إلى وسم روايتيه بما يعزز هذه الفكرة ، فروايتاه كانتا معنونتين بعنوانين يحيلان إلى المكان والزّمان (المسلّة ، جرماتي أو ملف البلاد التي سوف تعيش بعد الحرب) .

إنّ عظم تأثير المكان في نفسية الشّخصيّة ، قد يخرجها عن الفطرة السليمة ، فهناك اتفاق لدى جميع الناس على أن بعض الأماكن أليفة كالبيت ، والبعض الآخر معادٍ كالسجن ، إلا أن الثقل النفسي الذي يسلطه المكان على الشّخصيّة يخلط الموازين ، فنجدها تعد بعض الأماكن الأليفة مكاناً معادياً، أو بعض الأماكن المعادية مكاناً أليفاً .

إنّ نبيل سليمان في رسمه للمكان الرّوائيّ في روايتيه (جرماتي والمسلّة) كان يستند في الغالب إلى الواقع ، وإلى الخيال في بعض الأحيان ، فجاءت مجمل رواياته بنسب متفاوتةٍ بين الحقيقة والخيال .

وهكذا نجد أنّ الرّوائيّ نبيل سليمان اعتمد على المكان بأبعاده ليبرز من خلاله حياة الإنسان وأثر وجوده في المكان، وتأثر حياته باختلاف المكان ، كما اتضح البُعد الاجتماعيّ للمكان في اختلاف بعض الطقوس الاجتماعيّة.

كانت القرية مسرحاً لعدد من روايات نبيل سليمان ، بملامح محددة ، ومعالم واضحة ، وبأسماء حقيقية ، وموقع جغرافي واقعي، وسمها نبيل سليمان بروحية ابن القرية ، فنافست الشّخصيّات الرئيسة على البطولة ، وتطور الأحداث .

كتب نبيل سليمان عن المدينة ، و في روايتيه وصف المدينة بروحية القروي الذي صدمته المدينة بما فيها من تناقضات ، وفي بعضها الآخر عبر عن حبه لهذه المدن التي عاش فيها ، فكانت المدينة حاضرة بوعي نبيل سليمان كما هي القرية .

إن اتّساع المكان في بعض رواياته خصوصاً في رواية جرماتي ، أكسب الشّخصيّات حركة وحيوية، وكانت هذه الميزة إحدى وسائل الإقناع بأن المكان حقيقي ، تتحرك فيه شخصيات من لحم ودم ، مما أضفى مصداقية على الرّواية .

[55] **سليمان، نبيل : المسلّة، ص282-283.**

المصادر والمراجع :

المصادر (الرّوايات)

سليمان ، نبيل :

- جرماتي ، دار الحوار ، اللاذقيّة ، ط3 ، 2005 م .
- المسلّة ، دار الحوار ، اللاذقيّة ، ط4 ، 2004 م .

المراجع العربيّة :

- بحراوي ، حسن : بنية الشّكل الرّوائيّ ، (الفضاء، الزّمن ، الشّخصيّة)، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 1990م.
- البخاري، الحافظ أبي عبد الله محمد بن أسماعيل (ت 256)، صحيح بخاري، د.ط، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1998 م.
- بنيتي ، زهير، بنية الخطاب عند غادة السمّان –مقاربة بنيوية، أطروحة دكتوراه، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، جامعة العقيد الحاج لخضر، الجزائر، 2007 م.
- بيضون، أحمد، مداخل ومخارج (مشاركات نقدية)، ط1 ، المؤسسة الجامعة النشر والتوزيع، بيروت ، 1985 م.
- الجنابي، قيس كاظم، النزعة الحوارية في الرّواية العربية، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2011 م .
- الحربي، رحيم علي جمعة، المكان ودلالته في الرّواية العراقية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2003 م.
- حسن عبد الله، محمد، الرّيف في الرّواية العربية، المجلس الوطني للثقافة والفنّون والآداب، الكويت ، 1989 م .
- حسين، خالد، شعرية المكان في الرّواية الجديدة ، د.ط، مؤسسة اليمامة الصّحفيّة ، الرّياض، 2000م.
- حطيني ، يوسف، مكوّنات السّرد في الرّواية الفلسطينيّة، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق،1999م.
- لحمداني، حميد، بنية النّصّ السّردي من منظور النقد الأدبي ، بيروت،الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي،ط 3 ، 2000م .
- عبيدي، مهدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، منشورات الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب، وزارة الثّقافة، دمشق، 2011م.
- الفريجات، عادل، النّقد التّطبيقي للقصّة القصيرة في سورية، مجموعات وكتّاب، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق 2002م.
- الفيصل ، سمر روحي : بناء الرّواية العربيّة السّوريّة ، اتّحاد الكتّاب العرب ، دمشق، 2003.

المراجع المترجمة :

- باشلار ، جاستون ، جماليّات المكان ، ترجمة : غالب هلسا ، دار الجاحظ للنشر ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، د .ط ، 1980 م .
- بوتور، ميشال، بحوث في الرّواية الجديدة، تر : فريد انطونيوس ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط1 ، 1971م .
- لوبوك ، بيرسي، صنعة الرّواية، ترجمة عبد الستار جواد، ط2، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، 2000م.
- موير، إدوين، بناء الرّواية، ترجمة : إبراهيم الصيرفي ، مراجعة : د . عبد القادر القط د.ط ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ،1965 م .

المجلّات والدّوريّات :

- غانم، عبد الله عبد الغني، علم اجتماع السجون نحو علم جديد للسجون والمؤسسات العقابية والإصلاحية، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، الرّياض، مج 18، ع 35، 1424 هجرية.
- ولعة ، صالح، سيميائية البنية المكانية في رواية "كراف الخطايا"، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، مج 37، ع 447 ، 2008م .

ترجمة المراجع العربية

Sources (Narratives)

Sulaiman, Nabil:

- Jaramati, Dar Al-Hewar, Latakia, 3rd edition, 2005.
- Al-Masalla, Dar Al-Hewar, Latakia, 4th edition, 2004.

Arabic References:

- Bahrawi, Hassan: The Structure of the Narrative Form (Space, Time, Character), Al-Cultural Center, Beirut, 1st edition, 1990.
- Al-Bukhari, Imam Abu Abdullah Muhammad ibn Ismail (d. 256 AH), Sahih Al-Bukhari, no date, Bayt Al-Afkar International for Publishing and Distribution, Riyadh, 1998.
- Beniti, Zuhair, The Structure of Discourse in Ghada Al-Samman – A Structural Approach, PhD Thesis, Faculty of Arts and Humanities, Al-Aqqid Al-Hajj Lakhdar University, Algeria, 2007.
- Baydoun, Ahmad, Entrances and Exits (Critical Contributions), 1st edition, Al-Mu'assasa Al-Jami'ah for Publishing and Distribution, Beirut, 1985.
- Al-Janabi, Qais Kazem, The Dialogic Trend in Arabic Novel, 1st edition, Dar Al-Shu'un Al-Thaqafiyyah Al-Ammmah, Baghdad, 2011.
- Al-Harbiy, Rahim Ali Jum'ah, Place and Its Significance in Iraqi Novel, PhD Thesis, Faculty of Arts, University of Baghdad, 2003.
- Hassan Abdullah, Muhammad, The Countryside in Arabic Novel, The National Council for Culture, Arts, and Letters, Kuwait, 1989.
- Hussein, Khalid, The Poetics of Space in the New Novel, no date, Al-Yamamah Press Foundation, Riyadh, 2000.
- Houtani, Youssef, Components of Narrative in the Palestinian Novel, Arab Writers Union, Damascus, 1999.
- Lahmadani, Hamid, The Structure of Narrative Text from the Perspective of Literary Criticism, Beirut, Casablanca, Al-Cultural Center, 3rd edition, 2000.
- Obeidi, Mahdi, The Aesthetics of Place in Hanaa Mina's Trilogy, Publications of the Syrian General Book Authority, Ministry of Culture, Damascus, 2011.
- Al-Frejat, Adel, The Applied Criticism of Short Stories in Syria, Groups and Writers, Arab Writers Union, Damascus, 2002.
- Al-Faisal, Samar Rouhi: The Construction of the Syrian Arabic Novel, Arab Writers Union, Damascus, 2003.

Translated References:

- Bachelard, Gaston, The Poetics of Space, translated by Ghaleb Helisa, Dar Al-Jahiz for Publishing, Ministry of Culture and Information, Baghdad, no date, 1980.
- Btour, Michel, Studies in the New Novel, translated by Farid Antonius, Aouedat Publications, Beirut, 1st edition, 1971.
- Le Book, Percy, Craft of the Novel, translated by Abdul Sattar Jawad, 2nd edition, Madjlawi Publishing and Distribution, Amman, 2000.

- Muir, Edwin, The Construction of the Novel, translated by Ibrahim Al-Sayrafi, reviewed by Dr. Abdul Qader Al-Qatt, no date, Egyptian General Authority for Authors and Publications, 1965.

Journals and Periodicals:

- Ghanem, Abdullah Abdul Ghani, Sociology of Prisons: Towards a New Science of Prisons and Rehabilitation Institutions, Arab Journal of Security Studies and Training, Riyadh, Vol. 18, No. 35, 1424 Hijri.
- Wale'a, Saleh, Semiotics of Spatial Structure in the Novel "The Grapes of Wrath," Al-Mawqef Al-Adabi Magazine, Damascus, Vol. 37, No. 447, 2008.